

تفسير البحر المحيط

@ 113 @ هو قادر علی دفاعهم علی کل حال . .

{ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ التَّتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ } هو يوم أحد . والجمعان ، جمع النبي صلى الله عليه وسلم) وكفار قريش ، والخطاب للمؤمنين . وما موصولة مبتدأ ، والخبر قوله : فبإذن الله ، وهو على إضمار أي : فهو بإذن الله . ودخول الفاء هنا . قال الحوفي : لما في الكلام من معنى الشرط لطلبته للفعل . وقال ابن عطية : ودخلت الفاء رابطة مسددة . وذلك للإبهام الذي في ما فأشبه الكلام الشرط ، وهذا كما قال سيبويه : الذي قام فله درهمان ، فيحسن دخول الفاء إذا كان القيام سبب الإعطاء انتهى كلامه . وهو أحسن من كلام الحوفي ، لأن الحوفي زعم أن في الكلام معنى الشرط . وقال ابن عطية : فأشبه الكلام الشرط . ودخول الفاء على ما قاله الجمهور وقرروه قلق هنا ، وذلك أنهم قرروا في جواز دخول الفاء على خبر الموصول أن الصلة تكون مستقلة ، فلا يجيزون الذي قام أمس فله درهم ، لأن هذه الفاء إنما دخلت في خبر الموصول لشبهه بالشرط . فكما أن فعل الشرط لا يكون ماضياً من حيث المعنى ، فكذلك الصلة . .

والذي أصابهم يوم التقى الجمعان هو ماض حقيقة ، فهو إخبار عن ماض من حيث المعنى .
فعلى ما قرّره يشكل دخول الفاء هنا . والذي نذهب إليه : أنه يجوز دخول الفاء في الخبر
الصلة ماضية من جهة المعنى لورود هذه الآية ، ولقوله تعالى : { وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ^١ُ
عَلَيْنَا رَسُولِهِ مِنْهُمْ^٢ وَمَا أَوْجَفْتُمْ^٣ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ }
ومعلوم أن هذا ماض معنى مقطوع بوقوعه صلة وخبر ، أو يكون ذلك على تأويل : وما يتبين
إصابته إياكم . كما تأولوا : (إن^٤ كان قميصه قد^٥) أي إن تبين كون قميصه قد^٥ . وإذا
تقرّر هذا فينبغي أن يحمل عليه قوله تعالى : { مَا أَصَابَكُمْ مِنْ حَسَنَةٍ^٦ فَمِنْ^٧
اللَّهِ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ سَيِّئَةٍ^٨ فَمِنْ^٩ زُفْرُسِكِ^{١٠} } وما أصابكم من مصيبة فيما
كسبت أيديكم فإن ظاهر هذه كلها أخبار عن الأمور الماضية . ويكون المعنى على التبيين
المستقبل . .

وَفَسَّرَ الْإِذْنَ هُنَا بِالْعِلْمِ . وَعَبَّرَ عَنْهُ بِهِ لِأَنَّهُ مِنْ مَقْتَضَائِهِ قَالَهُ : الزُّجَّاجُ . أَوْ بِتَمَكُّينَ □
وَتَخْلِيَتِهِ بَيْنَ الْجَمْعَيْنِ قَالَهُ : الْقِفَالُ . أَوْ بِمِرْأَى وَمَسْمَعٍ ، أَوْ بِقَضَائِهِ وَقَدْرِهِ . وَقَالَ
الزَّمْخَشَرِيُّ : فَهُوَ كَائِنٌ بِإِذْنِ □ ، اسْتِعَارَ الْإِذْنَ لِتَخْلِيَةِ الْكَفَّارِ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَمْنَعَهُمْ مِنْهُمْ
لِيَبْتَلَهُمْ ، لِأَنَّ الْآذْنَ مَخْلُوقٌ بَيْنَ الْمَأْذُونِ لَهُ وَمِرَادِهِ . انْتَهَى . وَفِيهِ دَسِيسَةُ الْإِعْتَزَالِ ، لِأَنَّ قَتْلَ
الْكَفَّارِ لِلْمُؤْمِنِينَ قَبِيحٌ عِنْدَهُ ، فَلَا إِذْنَ فِيهِ . وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ : يَحْسُنُ دُخُولُ الْفَاءِ إِذَا كَانَ

سبب الإعطاء ، وكذلك ترتيب هذه الآية . فالمعنى : إنما هو وما أذن ا في فيه فهو الذي أصاب ، لكن قدّم الأهم في نفوسهم والأقرب إلى حسهم . والإذن : التمكين من الشيء مع العلم به انتهى كلامه . لما كان من حيث المعنى أن الإصابة مترتبة على تمكين ا ، من ذلك حملُ الآية على ذلك ، وادّعى تقديمًا وتأخيرًا ، ولا تحتاج الآية إلى ذلك ، لأنه ليس شرطًا وجزاء فيحتاج فيه إلى ذلك ، بل هذا من باب الاخبار عن شيء ماض ، والاخبار صحيح . أخبر تعالى أن الذي أصابهم يوم أحد كان لا محالة بإذن ا ، فهذا إخبار صحيح ، ومعنى صحيح ، فلا نتكلف تقديمًا ولا تأخيرًا ، وتجعله من باب الشرط والجزاء . .

{ وَلَئِيْعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ } وَتَتَّقُونَ